﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فُصّلت: 37]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

تعاقبُ اللَّيل والنَّهار من دلائل القُدرة والوحدانيَّة

بعد أن ذكر المولى ﷻ صفاتِهِ العليَّةَ بأنَّه السَّميع العليم؛ أشار إلى آياته العظيمة التي تدلُّ على وحدانيَّتِه، ومن أبرزها تعاقب اللَّيل والنَّهار وتباينُ هيئتِهما، وهذا التَّباين المستمرُّ يُظْهِر بجلاء قدرتَه المطلقةَ على البعث وتحقيق كلِّ مقدور، ممّا يشهد بوحدانيَّته الكاملة وعظمتِه الأبديَّة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱسْجُدُوا۟﴾: (سجد) أصلٌ يدُلُّ على تَطامُنٍ وذُلٍّ، يُقالُ: سَجَدَ؛ إذا تَطامَنَ، وكُلُّ ما ذَلَّ فَقَد سَجَدَ، وأسجَدَ الرَّجلُ؛ إذا طَأطَأ رأسَهُ، وانحَنى، وسَجَدَ؛ إذا وضعَ جَبهتَهَ بالأرض[2]، وجَعلَ ذلك عبارةً عن التَّذلُّل لله وعبادته، وهو عامٌّ في الإنسان والحيوانات والجمادات، والمَساجِدُ: مواضعُ السُّجودِ من الجَسَدِ والأرضِ، والواحِدُ: مسجدٌ[3]، والإسجاد: إدامةُ النَّظر مع سُكون[4]، والمقصود بالسُّجود في الآية: وضعُ الجَبهةِ على الأرضِ إرادةَ التَّعظيم والخُضوع[5].

2) ﴿تَعْبُدُونَ﴾: (عبد) أصلٌ يدُلُّ على لينٍ وذُلٍّ[6]، ومنه قولهم:

(1) الشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 519.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سجد).
(3) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن سيده، المحكم: (سجد).
(4) ابن سيده، المحكم: (سجد).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 228.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عبد).

طريقٌ مُعبَّدٌ، أي: سهلٌ مُذلَّلٌ؛ لكثرة وطءِ الأقدام له[1]، والعَبدُ: الإنسانُ، يُقالُ: فلانٌ عبدٌ للّه، أي: مملوكٌ له، ويُجْمَع على (عَبيدٍ) و(عِبادٍ)، وغَلَبَ الجمعُ الأوَّلُ على (عَبْدٍ) بمعنَى مملوكٍ، وهو ضِدُّ الحُرِّ، والجَمْعُ الثّاني على (عَبْدٍ) بمَعنَى: آدَميٍّ، وهو تخصيصٌ حَسَنٌ من الاستعمالِ العربيِّ[2]، والعُبوديَّةُ: إظهارُ التَّذلُّل، والعبادةُ أبلغُ منها؛ لأنَّها غاية التَّذلُّل، ولا يستحقُّها إلّا مَن له غاية الإفضال، وهو اللّه تعالى[3]، والمُراد بالعبادة في الآية: الخُضوع والتَّعْظيم من قولٍ وفعلٍ وإخلاصٍ بالقَلْبِ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الحَثُّ على صيانةِ الآدَميّينَ عن أن يَقعَ منهم سُجودٌ لِغَيرِه تعالى

يذكرُ اللّه تعالى بعضَ الأدلَّةِ على وحدانيَّته وقُدرته، فيقولُ سبحانه: ومِن آياتِ اللّهِ الدّالَّةِ على وُجودِه ووَحدانيَّته وقُدرته ورَحمته بعبادِه، وغيرِ ذلك مِن صفاتِ كَماله: اللَّيلُ والنَّهارُ في تَعاقُبِهما واختلافِهما في الظَّلام والضّياءِ، والزّيادةِ والنُّقصانِ، والاستِواءِ وغيرِ ذلك؛ ومِن آياته الشَّمسُ والقَمَرُ في دَوَرانِهما المُستَمِرِّ بانتِظامٍ، وتَقديرِ مَنازِلِهما لِمَصالِحِ الأنام، وغيرِ ذلك مِن مَنافِعِهما وعَجائبِهما، لا تَسجُدوا - أيُّها النّاسُ - للشَّمسِ، ولا تَسجُدوا للقَمَرِ؛ فهما مُدَبَّرانِ مُسَخَّرانِ، واسجُدوا للّهِ وحْدَه الَّذي خلَقَهنَّ؛ إن كنتُم تَعبُدونَ اللّهَ، وتَذلّونَ له بالطّاعةِ حَقًّا[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواوِ في قولِهِ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾:

الآياتُ الكونيَّة شواهدُ على عَظَمَة اللّه، وحِصنٌ للمستعيذين به

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ دالَّة على العطف، فهذه

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (عبد).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 7.
(3) الرّاغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفّاظ: (عبد).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 200.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 436، والسّمعانيّ، تفسير القرآن: 5/ 53، وابن عطيّة، المُحَرَّر الوجيز: 5/ 17.

الجملة معطوفة على جملة: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، فيكون المعنى: وإنَّ مِن آيات الله السَّميع العليم تلك الظَّواهرَ الكونيَّة العظيمة: اللَّيل والنَّهار، والشَّمس والقمر، فتلك العوالمُ الباهرة ليست إلّا شواهدَ على عظَمة الله، وجلالِ قدرته، فالعائذُ به يَلوذ بربِّ الأرباب، ومالكِ المُلْك، فلا ينالُهُ أذًى، ولا يصيبه مكروه[1]، ويجوز في جملة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ أن تكون معطوفةً على جملة: ﴿۞قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: 9] من باب عطف القصَّة على القصَّة، في إشارة إلى ارتباط هذه الجملة بما سبقها، في بيان أنَّ الغاية من ذِكر خَلْق العوالم وما فيها من آيات عظيمة، هي إظهارُها كدلائل قاطعةٍ على تفرُّد الحقِّ ﷻ بالألوهيَّة[2].

شواهد عظَمة الخالق في انتظام الكون وتوازنِ الطَّبيعة

ويجوز في الواو أن تكون استئنافيَّةً، وجملة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ كلام مستأنف مسوق لإيراد أربع آيات من آياته تعالى الباهرة[3]؛ لتكون شاهدةً على تنوُّع مظاهرِ عظمته في الكون، تتجلّى فيها عظَمةُ الخالقِ في انتظام الكون، وتوازن الطَّبيعة.

دلالةُ التَّعبير بـ(مِنْ) في قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾:

اللَّيلُ والنَّهار والشَّمس والقمر بعضٌ من دلائل عظَمة الخالق

(مِنْ) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ لإفادة التَّبعيض[4]، أي: من بين آيات الله تعالى التي لا تُعدُّ، ولا تُحصَى، تأتي آيات اللَّيل والنَّهار والشَّمس والقمر[5]، فما هذه الآياتُ إلّا جُزءٌ صغير من آيات الله الكثيرة، الدّالَّة على عظَمته وجلاله في الكون الواسع، وفي هذا التَّبعيض نلمَحُ انتقالًا بديعًا من الاستدلال بالذَّوات المخلوقة، إلى الاستدلال بالأحوال المتغيِّرة لتلك المخلوقات، فيبدأ العَرْضُ ببعض

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 12/ 1321.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 298.
(3) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 564.
(4) العثيمين، تفسير القرآن الكريم: (فصّلت)، ص: 198.
(5) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 12/ 1321.

الأحوال السَّماويَّة العظيمة، وهي تتابُع اللَّيلِ والنَّهار، وطلوعِ الشَّمسِ والقمر، ثمَّ ينتقل بعد ذلك إلى ذِكْر بعضِ الأحوال الأرضيَّة[1]، ممّا يعكس تنوُّعًا جماليًّا في استعراض مظاهر عظَمة الخالق.

سِرُّ التَّعبير بـ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ جمعًا دون دلائله:

الآيـاتُ علاماتٌ دالَّـــة عـلى وحدانيَّة الخالق في سياق عبادة المشركين

عبَّر النَّظمُ الكريم بالآيات جمعًا دون الدَّلائل بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾؛ لأنَّه أراد الإشارةَ إلى العلامات المُبيِّنة لوحدانيَّته[2]، وليس فقط إلى دلائله؛ تناسبًا مع سياق الآية الذي يتناول عبادةَ المشركين لغير الله تعالى، كعبادتهم للشَّمس والقمر، ولتكون الآياتُ شواهدَ واضحةً على خطئهم وعَظَمَةِ الخالق ووحدانيَّته.

سرُّ تقديم الجارِّ والمجرور ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾:

إبـــرازُ عَـظَـمَـةِ الآياتِ الكونيَّة، وأهـمـيَّـتِـهـا في تنظيم الكون

قُدِّم الجارُّ والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾؛ لإظهار الاهتمام، والتَّأكيد على عَظَمةِ هذه الآيات الكونيَّة، فهي تُمثِّل أظهرَ الكواكبِ، وأكثرَها تأثيرًا في العالم الأرضيِّ[3]، وفي التَّقديم بيانُ أهمّيَّتِها ودورِها البارزِ في حياة الإنسان وتنظيمِ الكون.

دلالةُ الإضافة في قوله: ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾:

تجلّي وحدانيَّةِ الخالقِ في آيات اللَّيل والنَّهار؛ فـهـي شـواهـدُ على عظَمة الله وتفرُّده

إضافةُ الآياتِ إلى الضَّمير العائد عليه سبحانه في قوله: ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ تُشير بوضوحٍ إلى كونها دليلًا على وحدانيَّته ووجودِه، فاللَّيلُ والنَّهار هما من آيات القدرة التي لا يمكن لأحدٍ غيرِ الله تعالى أن يخلقها؛ لتكون هذه الآياتُ شاهدًا على انفراد المولى سبحانه في صنع الكون، وتأكيدًا على تفرُّده بالأُلوهيَّة[4]، كما أنَّ في الإضافة تشريفًا إلهيًّا عظيمًا لهذه الآيات، وبيانًا لأهمّيَّتها الفائقةِ في حياة البشر[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 298.
(2) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 3/ 228.
(3) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 12/ 1322.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 298.
(5) الهلال، تفسير القرآن النّريّ: 24/ 166.

سرُّ تقديم اللَّيل على النَّهار في قوله: ﴿ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ﴾:

ظُلمةُ اللَّيل عَدَمٌ، ونورُ النَّهار وجودٌ، والعَدمُ يسبق الوجود

في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ قُدِّم اللَّيلُ على النَّهار؛ للتَّنبيه على أنَّ الظُّلمة هي العَدَم، والنّورَ هو الوجود، والعَدَمُ سابقٌ على الوجود، وهذا التَّقديم يُشير إلى أنَّ هذه الظّواهرَ الكونيَّةَ ليست سوى دلائلَ على حدوث الأشياء في الكون بإرادة الخالق[1]، وتعكس التَّرتيبَ الطَّبعيَّ للأشياء في خلق الله تعالى.

سِرُّ تقديم ﴿ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ على (الشَّمس والقمر):

إلزامُ الحُجَّة، وبيانُ فسادِ مذهبِ العابدين للشَّمس والقمر دونَ اللَّيل والنَّهار

في تقديم ﴿ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ على (الشَّمس والقمر) في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ﴾ بيانُ أنَّ الشَّمس والقمر آيتان من آياته تعالى، تمامًا كاللَّيل والنَّهار، فإذا لم تعبدوا اللَّيلَ والنَّهار على الرَّغم من إدراككم لعِظَمِهما، ودورِهما الأساسِ في حياة البشر، فكيف تقبلون بعبادة الشَّمس والقمر؟[2] ففي هذا التَّقديم إلزامُهمُ الحُجَّةَ، وبيانُ فسادِ مذهبهم.

دلالةُ المجاز في ذِكْر ﴿ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ﴾:

إشارةٌ إلى اختلاف النّور والظَّلام وتعاقبِهما لصلاح الكون وتوازنه

لا يُراد من ذِكْر ﴿ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ﴾ ما تدلُّ عليه حقيقةً ووضعًا، بل يُراد من ﴿ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ اختلافُهما، وتعاقبُ كلٍّ منهما للآخر، أمّا (الشَّمس والقمر)؛ فيُرادُ بهما نورُهما وإشراقُهما، وتقديرُ منازلِهما، واختلافُ سيرِهما في السَّماء، ممّا يُسهِم في بقاء صلاح الكون وتوازنِه[3].

دلالةُ الجمع بين ﴿ٱلَّيۡلُ﴾ و(النَّهار) في قوله: ﴿ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ﴾:

للجمع بين ﴿ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ في الآية دلالةٌ عميقة تكمن في أنَّ اختلافهما وتتابعَهُما يُظْهِرُ بجلاء قدرةَ المولى سبحانه على البعث

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 566، والبقاعيّ، نظم الدّرَر: 17/ 191.
(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 9/ 83.
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 8/ 341، والمراغيّ، تفسير المراغي: 24/ 135.

وعلى إحياء الموتى، وعلى كلِّ شيء[1]، فهذا التَّعاقبُ المنتظمُ بين الظُّلمة والنّور يعكس النِّظامَ البديع الَّذي أودعه اللّهُ في الكون، ويُعَزِّز من فهمنا لكيفيَّة تسييره تعالى لأمور الخَلْق والتَّدبير بعظَمةٍ وحِكْمةٍ.

في اختلافهما دلالةٌ على قدرته على البعث وعلى كلِّ مقدورٍ

سرُّ التَّعبير بـ﴿ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ دون (الظَّلام والنّور):

رمزٌ للشُّموليَّة؛ فاللَّيل للسَّكن والرّاحة، والنَّهارُ للحركة والمعاش

استعمل السّياقُ الحكيم مُفردَتَي ﴿ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ دون (الظَّلام والنّور)؛ ليرمزَ إلى الشُّموليَّة الكاملة لكلٍّ من اللَّيل والنَّهار واختلافِهما، وما يكتنفُه هذا الاختلافُ من عِبَرٍ ودلالاتٍ، فاللَّيلُ يغمر العالَمَ، فتسكن فيه الحركاتُ، وتأوي الحيوانات إلى بيوتها، والطّيورُ إلى أوكارها، وترتاح فيه النُّفوسُ من كَدِّ السَّعي والتَّعب، ثمَّ يأتي النَّهارُ كجيش يحمل بِشارةَ الصَّباحِ، ويهزمُ الظُّلمةَ، ويُمزِّقها، ويكشفُ العالمَ، فيُصبحُ النّاسُ مُبصرين[2]، فهما يتعاقبان دونَ انقطاع، فالشَّمسُ بضيائها وإشراقها، والقمرُ بنوره، وتقديرِ منازله في فَلَكِه، واختلافِ سيره في سمائه[3]، أمّا النّور والظَّلام؛ فقد يجتمعان في وقت واحد، وقد يكون الكهفُ مظلمًا، وهو في رابعة النَّهار، والغرض من ذكرهما الاستدلالُ على عظيم قدرته تعالى.

دلالةُ النَّهي في قوله: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ﴾:

إعلانُ توحيد الخالق، وإفرادُ المُبدِع بالعبوديَّة

في قوله تعالى: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ﴾ يأتي النَّهي؛ ليدلَّ على اختصاص الحقِّ ﷻ وحدَه باستحقاق السُّجود والعبادة، باعتباره المنفردِ بالخَلْق والتَّدبير[4]؛ إذ إنَّ السُّجود رمزٌ للخضوع المُطْلق، فلا يجوز أن يوجَّه إلّا لِمَن أبدع هذا الكون، وأحكم نظامَه، ودلالةُ النَّهي هنا تنبثق بروعتها من كونها تحذيرًا يَشُعُّ بهدي التَّوحيد، فإن لم يكن نَهيًا للإقلاع لِمَن ضلَّ، وسجد للشَّمس والقمر؛ فهو نداءُ تحذيرٍ مُشرقٍ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 191، 192.
(2) ابن القيّم، مفتاح دار السّعادة: 1/ 203.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 182.
(4) الشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 5019.

لِمَنْ لم تزل خطاهم على طريق التَّوحيد، بألّا ينخدعوا بظلمات الشِّرك، ولا يتَّبعوا أولئك الذين أضاعوا البوصلة[1]، فسجدوا لآيات الله بدلًا من السُّجود للخالق نفسه.

تحذيرٌ من عبادة المخلوقات من الأصنام وسائر الأجسام

ومن دلالة النَّصِّ في قوله تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ يتجلّى النَّهيُ البليغ عن الخضوع للأصنام والأجرام السَّماويَّة؛ ليُفهمَ منه تحذيرُ مَن صرفَ العبادةَ لغير الله تعالى[2]، فالآيةُ دعوةٌ واضحة للابتعاد عن تقديس أيِّ مخلوق مهما عَظُم شأنُه أو حَسُنَ حالُه.

سرُّ نهي العربِ عن السُّجود للشَّمس والقمر، مع أنَّهم لم يسجدوا لهما:

تحذيرٌ من آثار عبادة الأجرام السَّماويَّة السّائدة في الأمم المجاورة

على الرُّغم من أنَّ العرب في زمن نزول القرآن الكريم لم يُؤثَر عنهم أنَّهم سجدوا للشَّمس أو القمر، فإنَّ عبادة الشَّمس في اليمن أيامَ سبأ تركت آثارَها في بعض القبائل؛ إذ وُجِدَ صنمٌ باسم (شمس)، وعبدةٌ لها حتّى سُمّوا (عبدَ شمس)، فجاء النَّهيُ عن السُّجود لهما؛ تحذيرًا من انتشار عبادةِ الشَّمس والقمر، التي كانت سائدةً في الأمم المجاورة، كالصّابئة ونحوِهم[3].

سرُّ التَّعبير بالنَّهي عن السُّجود دونَ العبادة في قوله: ﴿لَا تَسْجُدُواْ﴾:

السُّجود نهايةُ التَّعظيم، ولا يليق إلّا بواجبِ الوجود، خالقِ الأكوان جلَّ وعزَّ

نهى تعالى عن السُّجود لغيره في قوله: ﴿لَا تَسْجُدُواْ﴾ دون بقية العبادة؛ لأنَّه يُعَبِّر عن أسمى درجات التَّعظيم؛ إذ إنَّ السُّجود لا يليق إلّا بمَنْ خلقهما، وأوجدهما من العدم[4]، وهو اللهُ ﷻ، فالسُّجودُ رمز للذُّلِّ والخضوع المُطلق، الذي لا يجوز أن يُتوَجَّه به إلّا للمُعظَّم الأوحد، الذي لا شريك له في الألوهيَّة، وهو أخصُّ العبادات، فإنَّه لم يُعبد به أحدٌ سوى الله تعالى، فالرُّكوع والقيام قد يَحصُل لغيره تعالى، أمّا السُّجود؛ فهو كمالُ التَّذلُّل له وغايتُه؛ فيختصُّ به تعالى[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 300.
(2) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 17/ 166.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 299.
(4) الشّربينيّ، السّراج المُنير: 3/ 519.
(5) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 17/ 167.

دلالةُ التَّعبير باللّام في قوله: ﴿لِلشَّمْسِ﴾:

اللّام في قوله: ﴿لِلشَّمْسِ﴾ للتَّعليل[1]، وهي متعلِّقة بـ ﴿تَسْجُدُواْ﴾؛ لتعليل النَّهي عن السُّجود لغير الله تعالى، فالسُّجود لا ينبغي إلّا لله تعالى، فهو المُستحِقُّ الوحيدُ لهذا النَّوع من العبادة، وخُصَّت الشَّمس بالذِّكر كواحدةٍ من المخلوقات التي فُتِن بها النّاسُ، فسجدوا لها.

لا تجعلوا سجودَكم للشَّمس، فإنَّه لا ينبغي لسواه تعالى

سرُّ إعادة حرف النَّفي في قوله: ﴿وَلَا لِلْقَمَرِ﴾:

في قوله تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ تكرَّرت (لا)؛ لتكون أداةَ نفي قويَّة، فكان التَّكرار هنا تأكيدًا للنَّهي، وإفادة أنَّ النَّهي عن السُّجود لكلٍّ منهما مُنفصلٌ على حِدَته[2]، فلا يجوز السُّجود للشَّمس بمفردها، ولا للقمر كذلك، بل يتعزَّز المعنى بأنَّ النَّهي يشمل كلًّا منهما على حِدَة.

توكيدُ معنى النَّهي عن السُّجود لغير الله، وأنَّ كلَّ نهيٍ منفصل عن الآخر

سِرُّ ذِكْر فعل ﴿لَا تَسْجُدُواْ﴾ مع الشَّمس دونَ القمر:

سِرُّ ذِكْر فعل ﴿لَا تَسْجُدُواْ﴾ مع الشَّمس دون القمر، يكمن في عَظَمَة الشَّمس في قلوب أولئك الذين عبدوها، فقد كانت الشَّمسُ في عيونهم أعظمَ من القمر، وأشرفَ الآلهة التي يُقدِّسونها[3]؛ لذلك جاء النَّهيُ؛ ليكونَ تحذيرًا مباشرًا من السُّجود لأعظم تلك الأوثان في عقولهم.

تحذيرٌ من عبادة أعظم أوثانهم التي يُقدِّسونها

موقعُ جملة: ﴿لَا تَسْجُدُواْ﴾ ودلالتُها:

جملة: ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ﴾ في سياق الآية تأتي اعتراضًا بين جُملتَيْن؛ إذ تفصل بين ذِكْر الآيات الكونيَّة العظيمة من اللَّيل والنَّهار، وبين توجيه الخطاب للمُتكبِّرين الذين يعارضون هذه الآيات[4]، وهو اعتراضٌ يمثِّل دعوةً لتوجيه العبادة لله وحدَه، ويُظْهِر

محطّة التوحيد بين الآيات الكونيَّة والتَّوجيه الإيمانيّ

(1) د، قباوة، المفصّل، ص: 1698.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 192.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 192.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 300.

تحذيرًا شديدًا من الغُرور والتَّكبُّر عن الخضوع لآيات الله الظّاهرة في الكون.

دلالةُ الواو في قوله: ﴿وَٱسۡجُدُواْ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡجُدُواْ﴾ حرف عطف[1]؛ إذ عطف هذه الجملةَ على جملة: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ﴾[2]؛ لتفصلَ بين نهيٍ عن عبادة الكواكب، ونداءٍ إلى العبادة الحَقَّة التي تخصُّ اللّهَ تعالى وحدَه، كأنَّها جسرٌ يربط بين نفيٍ لركون الإنسان للأوثان، وطلبٍ له للانصياع إلى المَلِك الدَّيّان.

جسرٌ يفصل بين النهي عن الشرك، ونداءِ الخضوع المُطلق لله وحدَه

دلالةُ الأمر في قوله: ﴿وَٱسۡجُدُواْ﴾:

لّما نهى تعالى عن السُّجود للشَّمس والقمر؛ جاء الأمر بالسُّجود لله تعالى؛ ليَظهرَ استحقاقُه الفائقُ لعبادته، فتأتي دلالةُ الأمر في قوله: ﴿وَٱسۡجُدُواْ﴾؛ لتكون تعبيرًا عن التَّفرُّد الإلهيِّ الذي لا يُساويه شيء في جلاله وقدرته؛ إذ لا يستحقُّ السُّجودَ إلّا مَن هو أحقُّ بالعبادة وحدَه[3].

لا يستحقُّ السُّجود إلّا مَن هو أحقُّ بالعبادة، وذلكم اللهُ تعالى

بلاغةُ التَّعبير بقوله: ﴿وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ بعد النَّهي عن السُّجود لهما:

وقوع قوله تعالى: ﴿وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ بعد النَّهي عن السُّجود للشَّمس والقمر يُفيد معنى الحصر؛ لأنَّ النَّهي في ذاته بمنزلة النَّفي، ويأتي إثباتُ السُّجودِ لله وحدَه بعدَه؛ ليكون مُقابِلًا للنَّفي بالإيجاب، كأنَّه قيل: لا تسجدوا إلّا لله، ممّا يوضِّح الحصرَ في العبادة، والتَّوجيه الفعليَّ لها فقط إلى الله تعالى؛ ليُفهمَ أنَّ السُّجود لا ينبغي أن يكون إلّا لله وحدَه، دونَ غيرِه من الكواكب والأجرام[4].

السُّجود لا يكون إلّا لله الواحد القهّار، لا لغيره من الكواكب والأجرام

(1) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم: 8/ 458.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 25/ 395.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 192.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 300.

بلاغةُ جِناس الاشتقاق في قوله: ﴿لَا تَسْجُدُواْ﴾ ﴿وَٱسْجُدُواْ﴾:

توازنُ النَّفي والإثبات بين السُّجود لله والسُّجود للكواكب

جناس الاشتقاق في الآية: ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾ يَظْهَر بوضوح في تكرار الجَذْر (سجد)، المُستعملِ نهيًا وأمرًا؛ ليُظْهِرَ التَّوازنَ البلاغيَّ بين النَّفي نهيًا، والإثبات أمرًا، فالنَّهي عن السُّجود للشَّمس والقمر يُقابِل الأمرَ بالسُّجود لله وحدَه، ممّا يُعزِّز المعنى، ويُؤكِّد الحصرَ في العبادة.

دلالةُ تكرار مادَّة السُّجود في الآية دونَ التَّسبيح وغيره:

رمزُ الطّاعة الكاملة والخضوع التّامّ للمولى سبحانه

تكرارُ مادَّة السُّجود في الآية ﴿وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ لا يحمل المعنى الحرفيَّ للسُّجود، وذلك بوضع الجبهة على الأرض فحسب، بل يتَّسع؛ ليشملَ معنًى أعمَّ وأشمل، وهو الخضوع التّامُّ والتَّذللُ لله تعالى، فإنَّ السُّجود هنا قد يكون رمزًا للذُّلِّ والعبوديَّة الكاملة، كما يتَّضح من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرّعد: 15][1]، فهو دلالةٌ على الانقياد الكامل، والطّاعةِ المُطلَقة لله تعالى، مع عدم انتفاء إرادة السُّجود الحقيقيِّ، فقد كانوا يسجدون لها سجودًا حقيقيًّا.

دلالة اللام في قوله: ﴿لِلَّهِ﴾:

لام التَّعليل تأكيدٌ أنَّ العبادة لا تكون إلّا لله وحده

اللّام الدّاخلة على الاسم الجليل في قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ تُفيد التَّعليل، مؤكِّدة أنَّ العبادة لا تكون إلّا لله وحده[2]، فالإرادة في السُّجود موجَّهةٌ إلى الخالق الأوحد، الذي يستحِقُّ الطّاعةَ والخضوعَ التّامَّ.

سرُّ التَّعبير باسم الجلالة (الله) دونَ (الرَّبِّ):

سرُّ التَّعبير باسم الجلالة (الله) دون (الرَّبِّ) في قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾، يكمن في تأكيد أنَّ السُّجود لا يكون إلّا

(1) العثيمين، تفسير القرآن الكريم: (فصّلت)، ص: 199.
(2) قباوة، المفصل، ص: 1698.

لله وحدَه، فهو الأحقُّ بالتَّعظيم والخضوع؛ لأنَّه الخالق الأوحد للكون بكلِّ مظاهره العظيمة، من ليل ونهار، وشمسٍ وقمر[1]، فهو المُتفرِّد بالخَلْق والإبداع، والسُّجودُ عبادةٌ خالصة له، دونَ شريكٍ أو شبيه، فاختيارُه هنا يحمل دلالةً على تفرُّد الله بالكمال المُطلق، الذي لا يشوبه أيُّ نقصٍ أو تغيير، ولا تُقيِّده حدودُ الزَّمان أو المكان[2]، فهو ﷻ الذي لا يُشاركه أحدٌ في مُلكِه أو سلطانه.

اسجدوا لله الذي خلقهنَّ فهو المستحقُّ للسُّجود والتَّعظيم

دلالةُ التَّعبير باسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾:

أوردَ الاسمُ الموصول في قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾؛ لأنَّه دالٌّ على المدح والتَّعظيم والانفراد بالخَلْق والإيجاد[3]، وليُلفتَ النَّظرَ إلى عظَمَة الخالق المبدع، فهو المستحقُّ وحدَه للسُّجود والتَّذلُّل، بما أبدعه من آيات كونيَّة شاهدةٍ على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، كما أنَّ التَّعبير بالاسم الموصول يُشعر بعلِّيَّة الخَلْق وسببيَّته في استحقاق السُّجود، فالخالق الذي أبدع اللَّيلَ والنَّهار، والشَّمسَ والقمرَ، بنظام مُتقَنٍ، ودِقَّةٍ مُبهِرة، هو وحدَه الجديرُ بالخضوع والتَّذلُّل، وكأنَّ الآية تُعلن أنَّ السُّجود لا يكون إلّا لِمَنْ صنعهنَّ، وأوجدَهُنَّ بحِكمةٍ وإبداعٍ.

مدحٌ للخالق وإفرادٌ للمُلك والسُّلطان

دلالةُ التَّعبير بالخَلْقِ في قوله: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ مادَّةً وصيغةً:

اللَّيل والنَّهار والشَّمس والقمر من مخلوقات الله سبحانه، مهما عَظُمَت منافعُها، وتجلَّت في هذا الكون، فقوله تعالى: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ ينسف أيَّ زعم لشراكتهما في ربوبيَّته تعالى[4]؛ إذ لا يليق بالمخلوق - مهما بلغ شأنُه - أن يُرْفَع إلى مقام العبادة، فالمخلوق عبدٌ خاضع لإرادة الخالق،

آياتٌ كونيَّةٌ عظيمةٌ لكنَّها مخلوقةٌ

(1) الخازن، لباب التَّأويل: 4/ 89.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 193.
(3) الهلال، تفسير القرآن الثّريّ: 24/ 166.
(4) القِنّوجي، فتح البيان: 12/ 255.

وفي ذلك تقبيحٌ بالغٌ لعابديها[1]؛ إذ كيف يَعبُد ما لا يَعي، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضَرًّا، فضلًا عن أن يكون شريكًا في الرُّبوبيَّة؟.

سرُّ التَّعبير بالصِّلة والموصول ﴿ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ دون الخالق:

الدَّلالة على العِلَّة؛ لأنَّ استحقاق السُّجود له تعالى مُتسبِّبٌ عن الخَلْق

جاء التَّعبير بالخَلْق في قوله تعالى: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾؛ ليُشعرَ بعِلِّيَّة الخَلْق وسببيَّته في استحقاق السُّجود، فالخالقُ الذي أبدع اللَّيلَ والنَّهار، والشَّمسَ والقمرَ بنظام متقنٍ، ودِقَّة مُبهرة، هو وحدَه الجديرُ بأن يُسْجَد له، لا هذه المخلوقات، فإنَّها غيرُ مُستحقَّة للسُّجود[2]، وكأنَّ الآية تُعلن أنَّ السُّجود لا يكون إلّا لِمَنْ صنعهنَّ، وأوجدهنَّ بحِكمةٍ وإبداعٍ.

بلاغةُ فاصلة الآية ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾:

إبطالُ الوساطة في العبادة، والنَّهيُ عن السُّجود لغير الله تعالى

معنى فاصلة الآية: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ هو أنَّ بعضهم كان يسجد للشَّمس والقمر مُتَّبعين مذهبَ الصّابئين في عبادتهم للأجرام السَّماويَّة، ويزعمون أنَّهم يقصدون بذلك السُّجودَ لله وحدَه، فكان النَّهي هنا عن هذه الوساطة، والأمر بالانفراد بسجودهم لله تعالى خالصًا؛ إذا كانوا فعلًا مخلصين في عبادتهم له بعيدين عن الشِّرك[3]، وتكمن بلاغةُ فاصلة الآية في إتمام المعنى بأسلوبٍ حاسم في تقريعه اللّاهين الغافلين[4]، وفيه تأنيبٌ وتسفيهٌ ببلاغةٍ وحكمةٍ، فإنَّ مَنْ يُقرُّ بالله تعالى، ويعبدُه، لا يليق به أن يسجد للشَّمس والقمر، بل يجب عليه أن يُخصِّص سجودَه لله وحدَه[5]، بعيدًا عن أيَّة وساطةٍ أو شرك.

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿إِن﴾ دون (إذا):

استُعملت أداةُ الشَّرط ﴿إِن﴾، ولم تُستعمل (إذا) في قوله تعالى:

(1) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 17/ 167.
(2) العثيمين، تفسير القرآن الكريم: (فصّلت)، ص: 200.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 201، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 566.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 13/ 611.
(5) دروزة، التّفسير الحديث: 4/ 423.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾؛ لأنَّ الأولى تفيد الشَّكَّ، أو عدمَ التَّحقُّقِ[1]، وهي أنسبُ في سياق تقريع المخاطَبين، وتشكيكِهم في صِدق عبادتهم لله وحده؛ فالسّياقُ ليس لتقرير أمر واقع، أو لتحقُّق العبادة، بل هو للكشف عن التَّناقض بين دعواهم الإيمانَ بالله، وبين أفعالهم التي يشوبها الشِّركُ؛ ولأنَّ (إذا) موضوعةٌ فيما يُرجى وقوعُه، أو يُتحقَّق حدوثُه.

موضعها البلاغيّ بين الشَّكّ والتَّقريع في كشف التَّناقض بين الدَّعوى والعبادة

دلالةُ تقديم المفعول ﴿إِيَّاهُ﴾:

قدَّم المفعول في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾؛ لتحقيق الحصر والتَّخصيص؛ إذ يُفيد هذا التَّقديم أنَّ العبادة لا تليق إلّا بالله تعالى وحده، فمَنْ أخلص العبادة له سبحانه؛ كان لزامًا عليه ألّا يسجد لغيره بأيِّ حال؛ إذ إنَّ تخصيص العبادة المُطلَقة لله يستلزم بالضَّرورة تخصيص أعظم مظاهرها وأخصِّها له وحده دون شريك[2].

بيانُ حصريَّة العبادة واستحقاق السُّجود لله وحده

دلالةُ التَّعبير بالإضمار دون الإظهار في ﴿إِيَّاهُ﴾:

من أصول الإيمان التَّوحيدُ الخالص الذي لا يشوبه شِركٌ، وأن يبلغ تعظيمُ الله في قلب العابد مبلغَ يقينِه أنَّ الله مُدبِّرُه، ويعلم خَلْقَه الذي خلَقَه عليه، فهو برحمته يسوق إليه ألطافَه، ويوصلُ إليه نِعَمَهُ، فالجدير بالعبد ليكون عابدًا له موصولًا بمَدَدِه وعَوْنِه وتوفيقه، أن يستشعر مراقبةَ الله له، ويقصدَه بالعبادة وحدَه، فالإضمار أدلُّ على الارتباط الباطن.

العبادة الحقَّة أساسُها الإيمانُ بالغيب، وخشيةُ الله ومراقبتُه

سِرُّ التَّعبير بالعبوديَّة دون السُّجود في قوله: ﴿تَعْبُدُونَ﴾:

التَّعبير بالعبوديَّة في قوله تعالى: ﴿تَعْبُدُونَ﴾ بدلًا من السُّجود يحمل دلالةً شموليَّةً أوسعَ وأعمق، فالسُّجودُ وإن كان يُمثِّل أخصَّ صورِ العبوديَّة الظّاهرة، لكنَّه لا يشمل كلَّ مظاهرِ الطّاعة والانقياد،

شموليَّة الطّاعة ودلالةُ الإخلاص

(1) السّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 75.

(2) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 389.

أمّا العبوديَّةُ؛ فهي تشمل السُّجودَ وسائرَ مظاهرِ الطّاعة القلبيَّةِ والعمليَّة، وفي كونها تمثِّل التَّذلُّل للمولى سبحانه محبَّةً وتعظيمًا[1].

دلالةُ التَّعبير بالمضارع ﴿تَعۡبُدُونَ﴾:

تعبدونه عبادةً متجدِّدةً لا تنقطع

جاء التَّعبيرُ بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿تَعۡبُدُونَ﴾؛ ليشيرَ إلى عبادةٍ متجدِّدة ودائمة، لا تقتصر على لحظةٍ عابرة أو زمن ماضٍ، بل تمتدُّ في الزَّمان، وكأنَّ الآية تخاطبهم بأنَّ عبادة الله ليست مُجرَّدَ فعلٍ مؤقَّت، بل هي حالةٌ مستمرَّة من التَّوجُّه الخالص، والانقياد التّامِّ له سبحانه.

(1) العثيمين، تفسير القرآن الكريم: (فصّلت)، ص: 200.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"